

مناسبة الآيات الكونية لمقاصد السور القرآنية
”سورة الشورى“
" دراسة تطبيقية "

دكتور/ توفيق علي علي زبادي
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
إمام وخطيب بدمياط

من ٣٦٠١ إلى ٣٦٤٤



ملخص البحث

هذا البحث يتعرض لبيان فكرة جديدة لم يتناولها أحد بدراسة مستقلة وهي مناسبة الآيات الكونية لمقاصد سور القرآن، وقد قمت بدراسة تطبيقية على سورة (الشورى). وكانت أهم التوصيات:

١. القيام بدراسة علمية في مناسبة الآيات الكونية لمقصد السور على مستوى القرآن كله.

٢. أن يتبنى قسم القرآن وعلومه القيام بدراسة أفانين السورة القرآنية من الكلمات، والجمل، والقصص، والأمثال، والحكم، والأحكام، والمواعظ، وأسماء الله الحسنى، ودلالاتها على مقصد السورة؛ حسب تقسيم سور القرآن (الطوال - المثنائي - المئين - المفصل).

الكلمات المفتاحية:

مناسبة - الآيات الكونية - مقصد - السور

**The occasion of the universal verses of the purposes of the
Qur'anic wall**

"Sura al-Shura"

"Applied Study"

Dr. Tawfiq Ali Ali Zabadi

Ph.D. in Interpretation and Qur'anic Sciences

Imam and preacher in Damietta

Research Summary

This research is subjected to the statement of a new idea was not addressed by one independent study, and it is the appropriate verses of the universal purposes of the Quran Suras, and I have applied the study of Sura (Al-Shura).

The most important recommendations were:

- 1. Carrying out a scientific study on the occasion of the proverbs for the purposes of the Qur'aan at the level of the whole Quran.**
- 2. To adopt the Quranic section and its sciences to study the Quranic verses of Quranic verses, sentences, stories, proverbs, rulings, preaching, and the names of Allah, and their interpretation of the purpose of Sura**

Key words

Occasion – Cosmic verses – Purpose – suras

Email: tawfeekali@hotmail.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد،،،

فالذي نزل القرآن الكريم على رسوله الكريم محمد ﷺ هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما خلقاً وتدبيراً. والذي نزل القرآن من الملائكة الأعلى، وخلق الأرض والسموات العلى، هو الذي له الأسماء الحُسنى والصفات العليا، وأثر هذه الأسماء والصفات ظاهر في الآيات التنزيلية، والآيات الكونية.

وقد وقع التحدي بكلا الكتابين، الكتاب المنظور والكتاب المسطور، حيث وقع التحدي بأصغر شيء فيهما، فأما من الكتاب المنظور فوقع التحدي بأصغر مخلوق وهو الذباب قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَجِيعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأَنصُرُنَّهُمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الحج: ١٧٣]. مع توفر مادة العناصر التي خلقت منها الذبابة في تربة الأرض.

وأما من الكتاب المسطور فوقع التحدي بالسورة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

والتحدي يقع بأصغر ما يطلقه عليه أنه سورة، مع توفر مادة التأليف وهي الحروف.

والتأمل في سور القرآن وآياته يجد التلازم بين الكون المنظور والكتاب المسطور؛ فتأمل في أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فجمع سبحانه بين الكتاب المسطور في قوله اقرأ باسم ربك، وبين الكون المنظور بقوله الذي خلق.

وتأمل في افتتاح سورة الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [١] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [٣] [الرحمن: ٣]. وكلاهما تعليم الكتاب المسطور والكون المنظور من آثار رحمته على عباده.

وهذا البحث سيبين بعد عون الله وتوفيقه وتسديده:

- لماذا قرن الله بين الكون المنظور والكتاب المسطور وحكمة الاقتران؟
- وكيف أن الآيات الكونية موزعة على سور القرآن حسب الوحدة الموضوعية في السورة؟

وذلك من خلال دراسة تطبيقية على سورة الشورى.

نسأل الله الهداية إلى الرشاد بعونه وتوفيقه وتسديده

موضوع البحث:

دراسة مناسبة الآيات الكونية لمقاصد السور القرآنية ، "سورة الشورى دراسة تطبيقية".

والمأمل في هذه السورة الكريمة يلحظ تناسباً موضوعياً بين ما ذكر فيها من آيات كونية، وتناسباً بين الآيات الكونية ومقصدتها بصورة تدل على إعجاز في النظم القرآني، وتناسق في الأداء.

أهمية الموضوع:

- ١ . خدمة كتاب الله الكريم.
- ٢ . بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.
- ٣ . بيان التناسب الموضوعي في الآيات الكونية في السورة القرآنية.
- ٤ . إبراز مناسبة الآيات الكونية في السورة القرآنية لمقصدتها.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن مناسبة الآيات الكونية في السورة القرآنية وبرهانه على مقصدتها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١ . ما المقصود بالمناسبة ؟
- ٢ . ما المقصود بمقصد السورة؟
- ٣ . ما المراد بالآيات الكونية في السورة القرآنية؟
- ٤ . هل يوجد تناسب موضوعي بين الآيات الكونية في السورة القرآنية؟
- ٥ . هل للآيات الكونية في السورة مناسبة مع مقصدتها؟

أسباب اختيار الموضوع:

تحدث جمع من العلماء والباحثين كيف أن السورة تخدم موضوعاً رئيساً، وإن تعددت الموضوعات الفرعية فيها، لكنها مشدودة إلى موضوع واحد

تأخذ آياته بعنق بعضها لتحقيق الموضوع الرئيس، ولم يتطرق أحد لبيان مناسبة الآيات الكونية في السورة وبرهانه على مقصدها بدراسة مستقلة، وإن أشار إلى ذلك بعض المفسرين المهتمين بدراسة علم المناسبات؛ لذلك عرّمت مستعيناً بالله على إبراز هذا الموضوع.
الدراسات السابقة:

تحدثت بحوث ودراسات كثيرة عن سورة الشورى لا صلة لها بموضوع بحثنا، لكن لم يفرد بحث للحديث عن مناسبة الآيات الكونية في السورة القرآنية - حسب علمي، وللدكتور أحمد الشرقاوي بحث عن القرآن والكون، تحدث فيه عن مقاصد الآيات الكونية، وهو موجود بعمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .
منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

وأما المنهج التحليلي: فمن خلال تحليل النصوص التي قمت باستقراءها، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتلها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث والاقتران بين الآيات

المنظورة والمسطورة وحكمته. ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الثاني: الاقتران بين كتاب الله المسطور وكتاب الكون المنظور.

- المطلب الثالث: الحكم من ذكر الآيات الكونية في السياق القرآني.
- المطلب الرابع: قواعد معرفة التناسب داخل السورة.
- المبحث الثاني: الآيات الكونية في سورة الشورى (دراسة تطبيقية).
- ويشتمل على تمهيد وسبعة مطالب:
- تمهيد : بين يدي السورة:
- المطلب الأول: اصطفاء الله لرسله.
- المطلب الثاني: مكة أم القرى.
- المطلب الثالث: الحكيم يُحْكِم نظام الكون ونظام البشر.
- المطلب الرابع: الولي الحميد ينزل من السماء ما فيه حياة خلقه.
- المطلب الخامس: العبودية للملك بين الاضطرار والاختيار.
- المطلب السادس: الملك يقسم المواهب الدينية والدينيوية وفق حكمته.
- المطلب السابع: التناسق بين الآيات الكونية في السورة، ومناسبته لمقصد السورة.
- الخاتمة و التوصيات.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث والاقتران بين الآيات

المنظورة والمسطورة وحكمته.

المطلب الأول : التعريف بمصطلحات عنوان البحث :

المناسبة في اللغة :

نسب: النون والسين والباء؛ كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيءٍ منه النسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به (١).

المناسبة في الاصطلاح:

هي : "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني" (٢).

وقيل : هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب الله تعالى.

تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها" (٣).

تعريف الآيات في اللغة:

الآيات جمع آية، والآية: العلامة، والإمارة والجماعة، والجمع آيات وآي وآيات وآيات.

والآية من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز، وسميت بذلك؛ لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام ويفضي منها إلى غيرها، وقيل سميت بذلك؛ لأنها جماعة من الحروف، وآيات الله عجائبه (٤).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/٢٣.

(٢) ابن العربي، القاضي أبي بكر ابن العربي، سراج المريدين: ٢ / ١٠٨.

(٣) مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٥٨.

(٤) انظر: الطبري، تفسير الطبري: ١٢ / ١٨٧.

الكون :

(كون) الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماضٍ أو زمان رَاهِن^(١).

وكَوّن الشيء: ركبّه بالتأليف بين أجزائه. والكون: الوجود المطلق العام، واسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة^(٢).

الآيات الكونية في الاصطلاح: هي الآيات التي تمثل ثبوت ظواهر ناموسية في الكون عبر زمانه ومكانه، وسمّيت آيات؛ نتيجة لثبوتها وعدم تغييرها^(٣).
السُّورَةُ:

المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهاً بها؛ لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر^(٤).

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومنزل عال؛ يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى، ومنزل آخر؛ إلى أن يستكمل القرآن^(٥).
واصطلاحاً: قدر من القرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات^(٦).

المقصد: (قصد) القاف والصاد والذال أصول ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء^(١).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،: ١٨٥/٥.

(٢) المعجم الوسيط: ٨١٢/٢، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٥٤٥.

(٣) الإعجاز العلمي للآيات الكونية، مشكور العوادي، مجلة الكوفة: كلية الآداب بجامعة الكوفة، ع ٩، ٢٠٠٨م، ص ٥.

(٤) الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن: ٤٣٤.

(٥) الكفوي، الكليات: ٤٩٤.

(٦) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٨٦.

والمعنى الأول هو المقصود.

والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد. وقوله تعالى: { وعلى الله قصد السبيل } (النحل: ٩)؛ أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة^(٢)، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها^(٣).

ومقصد السورة : هو: مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة، ومضمونها، ويُمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها^(٤).
فالمقصد هو الجامع لكل موضوعات السورة المختلفة، كما يجمع الغُدد حبات اللؤلؤ، وكما يجمع ساق الشجرة جميع أفرعها وأوراقها.
والمقصود بالعنوان : أوجه ارتباط ذكر الظواهر الناموسية التي تحدث في الكون والتي وردت في السورة بمغزاها الذي ترجع إليه معانيها ومضمونها.

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: ٩٥/٥

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ٣/٣٥٣.

(٣) نخبة من العلماء، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/١٨٢٠.

(٤) الربيعية، محمد، علم مقاصد السور، ١٤٢٣هـ - ٢٠١١م، ط١، بدون دار نشر،

الرياض، السعودية، ص٧.

المطلب الثاني

الاقتران بين كتاب الله المسطور وكتاب الكون المنظور.

عادة القرآن الكريم إذا ذكر أمرًا يتعلق بكتابه المسطور؛ ذكر ما يتعلق بكتابه المنظور؛ وكلاهما شهادة ودليل على صاحبهما المبدع كما أن كليهما كائن ليعمل.

تأمل معي هذا الاقتران والتلاحم والتلازم بين كتاب الله المنظور وكتابه المسطور:

قال تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنزِلُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [الأحقاف: ١-٣]

فكلاهما قائم على الحق والتدبير.

وتأمل معي افتتاح سورة الجاثية:

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَالْخَلْقِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَمَا أُبَدِّثُ بَعْدَ اللَّهِ

وَمَا يُبَدِّثُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ [الجاثية: ١-٦]. يخبر تعالى خبرًا يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به، وأنه {تنزيل} {من الله} {المعبود}؛ لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة؛ ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية من خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من الدواب، وما أودع فيهما من المنافع، وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد؛ فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق

هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال وعلى البعث والنشور^(١).

المطلب الثالث

الحكم من ذكر الآيات الكونية في السياق القرآني

التفكر في الآيات الكونية^(٢) عبادة من أجل العبادات، وصفة من صفات الأنبياء والأولياء، روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: **بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: لَإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}**، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْنَ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ»^(٣).

أولاً: التعريف بالرب المعبود :

قال ابن القيم - رحمه الله - الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها.

فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

(١) السعدي، عبد الرحمن، تفسير السعدي: ٧٧٥.

(٢) بلغت الآيات الكونية حسب عد الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ١٩٣٥ آية، انظر: فهرس الآيات الكونية في القرآن الكريم.

(٣) البخاري، إسماعيل، صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: لَإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}{(٤٥٦٩).

فالنوع الأول كقوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ الَّتِي
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿البقرة: ١٦٤﴾، وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ لَوْ كَانُوا مِنَ اللَّهِ لَاجِدِينَ وَآخِرَ مَا كَثُرًا
﴿النساء: ٨٢﴾، وهو كثير أيضاً.

فأما المفعولات؛ فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات؛ فإن
المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه؛
لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا
علم ولا إرادة^(١).

ثانياً: الاستدلال بها على صدق الآيات المتلوّة:

فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات منبهة على الاستدلال بالآيات
المصنوعات قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، أي أن القرآن
حق؛ فأخبر أنه لا بد من أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته
المتلوّة حق^(٢).

ثالثاً: الاستدلال بها على وقوع المعاد:

فالله سبحانه يستدل بخلق الإنسان وما فيه من الابتداء في غاية الضعف ثم
تطور خلقه إلى تمامه ونهايته؛ للدلالة على وقوع المعاد، وكذلك الاستدلال

(١) انظر: ابن القيم، الفوائد لابن القيم : ٢٠.

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة.

بأحوال النبات، قال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِنَّ كُتْمَهُ فِي رَبِّهِ مِنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُنُوفٍ وَمِنْكُمْ مَن يُرْدُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[الحج: ٥].

أي: أنكم إذا تأملتم في خلق الحيوان والنبات؛ أمكنكم أن تستدلوا بذلك على وجود الخالق وقدرته على إحياء الموتى وعلى غيرها من الممكنات، وأن الساعة آتية لا شك فيها، وأنه يبعث من في القبور للحساب والجزاء، ولولا ذلك ما أوجد هذا العالم؛ لأن أفعاله تعالى مبنية على الحكم الباهرة، والغايات السامية^(١).

رابعاً: الاستدلال بها على النبوات:

في سورة الشورى قبل أن يقول شرع لكم على السنة رسله؛ ذكر آيات كونية ذكر فيها قوانين نظام الكون والتي تتحقق بها منافع ومصالح العباد، والتي منها قانون الزوجية في الإنسان والحيوان؛ ليتحقق العمران في الأرض بالنسل منهما، وقانون تقسيم الأرزاق بين الغني والفقير؛ ليعلمنا سبحانه أنه بحكمته ورحمته سنَّ قوانين الشرائع على السنة رسله، والتي يتحقق بها سعادتهم وفلاحهم، فكلها من مشكاة واحدة، وكلها رحمة من الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.

(١) المراغي، مصطفى، تفسير المراغي: ١٧ / ٩٠.

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَاطُرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ثم اتبع ذلك بآيات التشريع؛ فقال : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فدلل سبحانه بالآيات الكونية على آثار رحمته ونعمته على خلقه على صحة النبوات.

خامساً : الاستدلال بها على الحكم من خلق الكائنات:

من حكم الله في خلقه للآيات الكونية دلالتها على حكمته وما فيها من النفع والخير الدال على رحمته، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَأْتِجُمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦]، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥]. قال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم ثلاث خصلات : جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوما للشياطين^(٢).

سادساً: الاستدلال بها على الأحكام الشرعية:

قرن الله سبحانه بين خلقه للكائنات الكونية، وبين أوامره الشرعية، فقال: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري: ت: شاکر، ١٧ / ١٨٥.

(٢) ابن كثير، إسماعيل، تفسير ابن كثير، ت: سلامة: ٦ / ٢٠٧.

أَنهَارٍ يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

قوله : {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع
المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن
للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن
أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، {تَبَارَكَ
اللَّهُ} أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه
وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في
الكون، فمن آثار رحمته^(١).

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَن
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع
ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي
أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي
يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء
كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه
الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر
معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن
ذلك، الظالمون المعرضون^(٢).

(١) السعدي، عبد الرحمن، تفسير السعدي: ٢٩١.

(٢) المرجع السابق: ٨٧٢.

فالقادر على تدبير تلك المخلوقات بمثل ذلك الإتقان المشاهد في نظامها؛ قادر على تدبير شؤون البشر بالشرائع المُحَكِّمة والمتقنة؛ لأنها مبنية على سعة علم خالقها وإحاطته بدقائق الأشياء، وحكمته في تقدير المصالح والمنافع لخلقه من أحكامه.

سابعاً: الاستدلال بها على طلاقة القدرة والمشيئة.

قرن الله - عزَّ وجلَّ - في كتابه الكريم بين سننه في تصريف شؤون كونه، وسننه في تصريف شؤون خلقه؛ ليربي أهل الإيمان على طلاقة قدرته ومشينته في كونه، وخلقها، وأن القادر على تدبير الكون بحكمته وعدله، هو القادر على تدبير أمور خلقه بحكمته وعدله.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَجْرِ حَسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

أي إنك بحكمتك في تدبير الأرض وتكويرها وجعل الشمس بحسبان تزيد في أحد الجديدين ما يكون سببا لنقص الآخر؛ فلا ينكر على قدرتك وحكمتك أن تؤتي النبوة والملك من تشاء كمحمد وأمه، وتنزعها ممن تشاء كبنو إسرائيل، فإنك تتصرف في شؤون الناس كما تتصرف في الليل والنهار^(١).

ثامناً: تأنيس السالكين في طريق الحق:

بين الله سبحانه وتعالى عبودية جميع الكائنات وخضوعها له؛ حتى لا يستوحش السائرون إليه من قلة السالكين على الطريق، واستدلالاته على انفرادها بالالوهية. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتِ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ

(١) رضا، رشيد، تفسير المنار: ٣ / ٢٢٦.

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن

يُبِينِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

تاسعاً: المحاجة بها إقامة للتوحيد وإبطالاً للشرك:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فإن من تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة فإن إبراهيم لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي يحيي ويميت أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد فقد أحيا هذا وأمات هذا؛ فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة.

فإن كان صادقاً فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه وليس هذا انتقالاً من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة^(١).

فهذه طريقة القرآن في إرشاده الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوقات وأحوالها على إثبات الصانع، وعلى التوحيد والمعاد والنبوت؛ ... وهذا باب عظيم من أبواب الإيمان إنما يفتحه الله على من سبقت له منه سابقة السعادة، وهذا أشرف علم يناله العبد في هذه الدار^(٢).

وهذا ما يجب أن يعتني به العلماء والمربون في إرشادهم للخلق وتربيتهم لهم.

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلّة: ٢ / ٤٩١.

(٢) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد: ٤ / ١٦٣.

المطلب الرابع

قواعد معرفة التناسب داخل السورة

من تأمل في لطائف نظم القرآن وفي بدائع ترتيبه؛ علم أن القرآن كما أنه مُعْجَزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً مُعْجَزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته.

وقد بذل ساداتنا العلماء مهج حياتهم في فهم كتاب الله وبيان نظمه، ومعرفة كيف للمتأمل فيه أن يُهْدَى إلى معرفة وجه المناسبات بين الآيات، ومن هؤلاء الإمام البقاعي الذي أَلْفَ تفسيراً كاملاً سمَّاه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)؛ لبيان هذا الغرض الشريف، وبين - رحمه الله - أنه استفاد من شيخه قاعدة عزيزة لمعرفة تناسب الآيات فقال: قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي: لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي له والتي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته؛ تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة^(١).

وقال السيوطي - رحمه الله - في الإتقان عن مناسبة الآيات بعضها لبعض: "ذكر الآيات بعد الأخرى؛ إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضها ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد

(١) البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١ / ١٨.

أو التفسير أو الاعتراض أو البديل وهذا القسم لا كلام فيه، وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به؛ فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا؛ فإن كانت معطوفة؛ فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه^(١).

و قال -رحمه الله- وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً؛ ذكر بعدها وعداً ووعيداً ليكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه؛ ليعلم عظم الأمر والناهي... ثم قال وإن لم تكن معطوفة؛ فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب: أحدها: التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من أصول البلاغة. مثال:

قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ۗ﴾ [الأنفال: ٥]؛ عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۗ﴾ [الأنفال: ٤]؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد أن كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام؛ فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

الثاني: المضادة، وعادة القرآن إذا ذكر شيئاً ذكر ما يقابله. مثال:

(١) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٧١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦]؛ فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين؛ عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: "وبضدها تتبين الأشياء"^(١).

الثالث: الاستطراد. وهو انتقال من موضوع لموضوع بينهما وجه اتصال.
مثال :

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَى سَوَاءٌ تَكُمُ وَرِيثًا وَيَلِاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال الزمخشري-رحمه الله- : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوعات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى^(٢).

فهذه بعض قواعد الكشف عن المناسبات التي توصل إليها العلماء الكرام، والتي تحتاج علماً بعلوم العربية والبلاغة و الفصاحة مع حاسة التدقيق اللغوي.

المبحث الثاني

الآيات الكونية في سورة الشورى

(١) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣٧١.

(٢) الزمخشري، محمود ، الكشاف: ٢ / ٩٧.

دراسة تطبيقية

تمهيد:

يتناول سياق السورة عرض حقيقة الوحي والرسالة، وما يصاحبها من موضوعات أخرى بطريقة تدعو إلى مزيد من التدبر والملاحظة.

تمهيد : بين يدي السورة:

سميت سورة الشورى بهذا الاسم؛ تنويهاً بمكانة الشورى في الإسلام، وتعليمًا للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا الركن العظيم؛ لما له من أثر مبارك في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات. وهي مكة كلها عند الجمهور^(١). فضائل السورة:

السورة من السور المثاني وقد جاء في فضل هذه السور ما رواه الإمام أحمد في مسنده ن وَائِثَّةُ بِنِ الْأَسْعَقِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَثْنَيْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثْنَيْنِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُقَصَّلِ»^(٢).

مقصد السورة : الموضوع الرئيسي للسورة هو التوحيد إلى جانب بيان حقيقة الوحي والرسالة. وقد عالجت موضوعات أخرى منبثقة عن العقيدة. مناسبة السورة لما قبلها :

اشتمال كل منهما على ذكر القرآن، ودفن مطاعن الكفار فيه، وتسلية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك^(٣).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ٢٥ / ٢٣.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد : حديث وائثة بن الأسقع، (٢٨ / ١٨٨)، (١٦٩٨١).

قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته، (١٠٥٩).

(٣) المراغي، مصطفى، تفسير المراغي: ٢٥ / ١٣.

مناسبة افتتاح السورة لخاتمها :

في أولها: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وفي آخرها: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

مناسبة اسم السورة لمقصدها:

مقصد السورة (بيان حقيقة الوحي والرسالة)، واسم السورة الشورى، وبين الله في السورة فضيلة الاجتماع على إقامة الدين فيما ورد بالوحي في كتاب الله وسنة رسوله، فإن لم يوجد في كتاب الله وسنة رسوله ما يكون سبباً للاجتماع؛ ذهب المؤمنون إلى مبدأ الشورى التي تعرض وتناقش فيها الآراء ثم يستقر فيها على ما فيه المصلحة ودفع المفسدة للمؤمنين.

المطلب الأول: اصطفاء الله لرسوله.

أرسل الله تعالى رسوله لعباده؛ بالشرائع، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ

وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الشورى: ٣-٥].

مناسبة الآية الكونية للآية الشرعية:

لما أخبر سبحانه أنه صاحب الوحي بالشرائع دائماً قديماً وحديثاً؛ علل ذلك بأنه صاحب الملك؛ فلذلك يوحى إلى من يشاء بما يشاء من إقرار وتبديل، لا اعتراض لأحد عليه^(١).

وجملة (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مقررة لوصفه العزيز الحكيم؛ لأن من كان ما في السماوات وما في الأرض ملكاً له تتحقق له العزة لقوة ملكوته، وتتحقق

(١) انظر: البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧ / ٢٤١.

له الحكمة؛ لأن الحكمة تقتضي خلق ما في السماوات والأرض، وإتقان ذلك النظام الذي تسيّر به المخلوقات^(١).

مناسبة الآية لمقصد السورة:

لما كان مقصد السورة (بيان حقيقة الوحي والرسالة)؛ ذكر الله سبحانه وتعالى بعد أن أعلمنا أنه صاحب الوحي بالشرائع؛ بين أن هذا الوحي منه لعباده منهاجاً أرسله الله الملك لعباده عن طريق الرسل الكرام الذين اختصهم بفضله، واصطفاهم برسالته، وجعل سبحانه طاعتهم واجبة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾ [النساء: ٦٤]؛ لأنهم أرسلوا ليوضحوا ويبينوا ما أرسله الله إلى خلقه من تشريعات تصلح بها حياتهم الدنيوية والأخروية. وانقسم الخلق مع رسله قسمين:

القسم الأول: قتلوا الرسل؛ فضربت عليهم الذلة والمسكنة، وحلّ عليهم الغضب، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ ۗ إِنَّكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا لِيُجِبَلَ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ أُنْتَابُوا وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ ۗ إِنَّكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

والقسم الثاني: أطاع رسل الله؛ فسعدوا في الدنيا برضاه تعالى عنهم وولايتهم لهم ونصره لهم على أعدائهم، والملائكة يستغفرون لهم، ويدعون لهم ويؤيدونهم في طريق الحق.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ٢٥ / ٢٨.

وختم سبحانه وتعالى السورة بالوحي الذي أرسله إلى أفراد مملكته عن طريق سفرائه، وبين أن هذا الوحي فيه صلاح العباد، وأن هذا الوحي روح تحيا بها حياتهم، ونور يستهدون به في طريقهم إلى مرضاته، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وورثة الأنبياء وهم العلماء سفراء بين الله وخلقه يقومون بمهمة الأنبياء من التوضيح والبيان والهداية إلى طريق الله الملك، فأنعم بها مرتبة، وأعظم بها مكانة.

المطلب الثاني: مكة أم القرى. (١)

لما اختار الله رسوله الكريم ﷺ برسالته الخاتمة؛ اختار من الأرض التي خلقها وله السلطان والتدبير والتصرف فيها بلده الكريم؛ لتكون مركزاً للقيادة الروحية؛ لأن "جميع العالم محقق بالكعبة ومكة؛ لأنها سرّة الأرض" (٢)، وللملك أن يختار المكان المناسب الذي تنطلق منه مشاعل الهداية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ [الشورى: ٧]. ومثلما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك -أيها الرسول- أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا لنتنذر مكة ومن حولها من قرى

(١) قام العالم الجغرافي المسلم الجيهاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري برسم الكرة الأرضية وتحديد موقع مكة المكرمة عليها، وقام برسم المساقط لأقطار الدائرة، فإذا بها تلتقي جميعها في موقع البيت الحرام، وإذا به يشكل مركز العالم. وفي القرن العاشر الهجري قام الجغرافي المسلم الصفاقسي ٩٥٨هـ - ١٥٥١م؛ بتطوير الأبحاث الجغرافية ورسم الكرة الأرضية حسب أبحاثه مستهدفاً من ذلك تحديد موقع (القبلة) البيت الحرام لخدمة المسلمين الذين بلغوا أقاصي الدنيا وأعالي أوروبا، وقد توصل أيضاً إلى أن البيت العتيق في مكة المكرمة؛ هو مركز الكرة الأرضية .. بعد رسم خريطة تمثل علاقة مكة المكرمة بالعالم الإسلامي، وخريطة أخرى توضح موقع مكة المكرمة بالنسبة للكرة الأرضية.

وفي عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م قام الجغرافي المصري المسلم الدكتور/ حسين كمال الدين الأستاذ بجامعة الرياض بدراسات جغرافية تهدف إلى صنع بوصلة تحدد اتجاه القبلة؛ لتيسر على المسلمين في كل مكان من العالم الاهتداء إلى موقع الكعبة المشرفة، فإذا بأبحاثه الجغرافية الفلكية تقوده إلى إثبات نظرية الجيهاني والصفاقسي بأن بيت الله الحرام هو مركز الكرة الأرضية. انظر موقع مشروع تعظيم البلد الحرام على هذا الرابط:

<http://makkah.org.sa/site/index.php/drommakkah/335->

makka-11.html

(٢) (القشيري، لطائف الإشارات للقشيري: ٣/ ٣٤٣.

العرب، ثم الناس جميعاً، وتخوّف الناس من يوم القيامة يوم يجمع الله الأولين والأخرين في صعيد واحد للحساب والجزاء، لا شك في وقوع ذلك اليوم، والناس منقسمون فيه إلى فريقين: فريق في الجنة وهم المؤمنون، وفريق في النار وهم الكفار^(١).

وقد اختار الله أن تكون مكة موضع الرسالة الخاتمة، وأنزل القرآن بلغتها العربية؛ لحكمة يريدنا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].
المطلب الثالث: الحكيم يُحْكِم نظام الكون ونظام البشر.

الله سبحانه وتعالى الذي نَظَّمَ سريان حركة الكون بنظام مُحْكَم؛ قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، هو سبحانه الذي نَظَّمَ حياة الناس بنظام مُحْكَم؛ فكلاهما ناموس واحد، وكلاهما من حكيم عليم، وكلاهما من مشكاة واحدة؛ حتى ينسجم النظامان في حركة الكون.

قال تعالى: ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٢] شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ [١٣]

[الشورى: ١١-١٣].

فَطَرُ اللَّهِ الْخَلْقَ، أَي: خَلَقَهُمْ، وَابْتَدَأَ صَنْعَةَ الْأَشْيَاءِ^(٢).
من لطائف اللغة وسعة دلالاتها:

(١) نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير: ٤٨٣.

(٢) الفراهيدي، العين: ٧ / ٤١٨.

(شرع) الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه. من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة. قال الله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر} [الجاثية: ١٨]^(١).
قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر.
فجمعت هذه اللفظة القرآنية بين ما به حياة الأبدان وهو الماء، وبين ما هو حياة الأرواح وهو الوحي.
وهذه اللفظة في موضعها لا يعني مكانها لفظة أخرى.
مناسبة الآيات لمقصد السورة :

مقصود السورة العام هو تقرير التوحيد والوحي والرسالة، إذ تربط الآيات بين حقائق الكون المشهودة والتي لا جدال حولها وبين حقائق القرآن الغيبية من التوحيد والوحي والرسالة، فالذي فطر السموات والأرض بدون مثال سابق وجعل سنة التزاوج والتشابه بين المخلوقات والتكاثر بينها بحكمة بالغة هو الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فإن التسليم بالحقائق الملموسة المشهودة، يدعونا للتسليم بالحقائق الغيبية المعقولة.
وخزائن السموات والأرض ومفاتها يده تعالى، يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه ويقدر بعلمه وحكمته، وكما أنه تعالى المدبر لكونه المقسم بين عباده، فهو الحكم بينهم جعل لهم من الشرائع الممتدة عبر النبوات، ما يجمعهم ويوحدهم، ويعصمهم، وإن ثقل ذلك على المشركين، ولكن الله تعالى هو الذي يختار للهداية والاصطفاء من يشاء ويوفق من رجع إلى الحق.

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: ٣ / ٢٦٢.

المطلب الرابع: الولي الحميد ينزل من السماء ما فيه حياة خلقه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

من رحمة الله عز وجل بعباده إغاثتهم بالغيث عند حاجتهم، فينفع الله بالغيث العباد والبلاد وهذا من تدبيره سبحانه وتعالى لهم فهو وليهم الذي يتولاهم بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم، وهذا سر من أسرار اسم الله الولي .

الغيث: ما كان نافعاً في وقته، والغيث: المطر الآتي بعد الجفاف، سمي غيثاً بالمصدر؛ لأن به غيث الناس المضطرين^(١).
لماذا خص الله نعمة الغيث؟

خصها بالذكر دون غيرها من النعم الدنيوية؛ لأنها نعمة لا يختلف الناس فيها؛ لأنها أصل دوام الحياة بإيجاد الغذاء الصالح للناس والدواب^(٢).

وإنزال الغيث يجمع بين كونه نعمة وكونه آية دالة على بديع صنع الله تعالى وعظيم قدرته المقتضية انفراده بالألوهية^(٣).

وذكر صفتي الولي الحميد دون غيرها؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يحمد عليه^(٤).
مناسبة الآية لمقصد السورة :

يُذكر في القرآن إغاثة البشر بالماء النازل من السماء ويشبهه الوحي به في الحديث النبوي للعلاقة بينهما؛ فالماء النازل من السماء به حياة الأبدان،

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ٢٥ / ١٥٦

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير: ٢٥ / ٩٥

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير: ١ / ١٥٨.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير: ٢٥ / ٩٥

والوحي النازل من السماء حياة القلوب، والإنسان مكون من جسد وروح فبهما تمام النعمة، وكمال الإنسانية.

روى البخاري بسنده عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» قال أبو عبد الله: قال إسحاق: وكان منها طائفة قبلت الماء، قاع يعلوه الماء، والصفصف المستوي من الأرض^(١).

المطلب الخامس: العبودية للملك بين الاضطرار والاختيار.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمَامًا تُسَبُّوْنَ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشورى: ٣٢-٣٤].

مناسبة الآيات لما قبلها السورة:

لما جرى تذكيرهم بأن ما أصابهم من مصيبة هو مسبب عن اقتراف أعمالهم، وتذكيرهم بحلول المصائب تارة وكشفها تارة أخرى بقوله: {ويعفوا عن كثير} [الشورى: ٣٠]، وأعقب بأنهم في الحالتين غير خارجين عن قبضة القدرة الإلهية؛ سيق لهم ذكر هذه الآية جامعة مثلاً لإصابة المصائب وظهور مخائلها المخيفة المذكرة بما يغفلون عنه من قدرة الله والتي قد تأتي بما أذروا به وقد تنكشف عن غير ضرر، ودليلاً على عظيم قدرة الله تعالى وأنه لا

(١) البخاري، إسماعيل، صحيح البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، (٧٩).

محيص عن إصابة ما أراده، وإدماجًا للتذكير بنعمة السير في البحر وتسخير البحر للناس فإن ذلك نعمة^(١).

المقصود من هذه الآية الكونية أمران:

أحدهما: أن يستدل به على وجود القادر الحكيم.

والثاني: أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد^(٢).

مناسبة الآية الكونية لمقصد السورة:

كما أن العبد يلجأ إلى الله وقت الاضطرار كما يحدث له في ركوب السفن وتجري به وتعرض للموج العالي والماء الهادر مما يعرضه للمخاطر؛ فيلجأ إلى الله لينجيه مما هو فيه وليس له ملجأ غير الله؛ فكذاك أراد الله لهذا العبد أن يعود إليه اختياراً وهذا من مقاصد الشريعة، وفي هذا المعنى قال الشاطبي - رحمه الله - "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد الله اضطراراً"^(٣).

فوائد من الآية:

- أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلاً عن دلائل معرفة الله؛ لأنه لا بد وأن يكون إما في البلاء، وإما في الآلاء، فإن كان في البلاء؛ كان من الصابرين، وإن كان من النعماء كان من الشاكرين^(٤).
- آيات الله في الآفاق والأنفس إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر.

(١) المرجع السابق: ٢٥ / ١٠٥.

(٢) الرازي، تفسير الرازي: ٢٧ / ٦٠٢.

(٣) الشاطبي، الموافقات: ٢ / ٢٨٩.

(٤) الرازي، تفسير الرازي: ٢٧ / ٦٠٢.

- جعل حالة سريان السفن في البحر آية لكل صبار شكور؛ لأن في الحالتين خوفاً ونجاة، والخوف يدعو إلى الصبر، والنجاة تدعو إلى الشكر، وهما قوام النفس المؤمنة.

المطلب السادس: الملك يقسم المواهب الدينية والدنيوية وفق حكمته.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ٤٩﴾ أو يزوجهم ذكراً وإنثاءً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليه قدير ﴿٥٠﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر إذاعة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها؛ أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور، وبعضاً بالصنفين جميعاً، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدًا قط^(١).

ولما ذكر سبحانه تقسيم النعم الجسمانية التي يهبها لعباده؛ أردفها تقسيم النعم الروحية؛ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ٥١﴾ وكذلك أوحينا إليك رؤسًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب ولا الإيمن ولكن جعلته نوراً تهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴿٥٢﴾ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥١-٥٣].

مناسبة الآيات لمقصد السورة:

كما أن الله يقسم الرزق بنوع الأولاد كيف يشاء وليس للإنسان فيه اختيار؛ فكذا يختار لرسالته من يشاء، ويوحى إليه أيضاً كيف يشاء، قال تعالى

(١) الزمخشري، الجار الله، الكشاف: ٤ / ٢٣٢.

﴿أَمْهُمْ يُقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

يعني أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي كما قسمنا المعاش في الدنيا؛ كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية^(١).

وفي الآية دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية، حيث جاء التعبير عنها بـ {ورحمة ربك}.

المطلب السابع: التناسق بين الآيات الكونية في السورة، ومناسبته لمقصد السورة.

أشارت هذه السورة الكريمة إلى ما يتعلق بأركان الوحي والرسالة كما يأتي:
الركن الأول: مصدر الوحي والرسالة في الأولين والآخرين: في قوله تعالى:
﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]، ثم ذكرت صفاته (اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، ثم وصفت العزيز الحكيم بقوله تعالى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

فقررت الآية أن الله المالك لما في السموات والأرض هو الموحى بجميع الرسالات لجميع الرسل، وأن الرسالة الأخيرة هي امتداد لأمر مقرر مطرد من قديم.

الركن الثاني والثالث والرابع: مقصد الوحي والرسالة واللغة والمكان:

(١) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢ / ٢٥٨.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا

رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ [الشورى: ٧]

قررت الآية أن الله أنزل الوحي بلغة العرب؛ فشرف العرب بهذا الاختيار قال

تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقررت أن الله اختار مكة وشرفها من بين بقاع الأرض لتنتقل منها مشاعر

الهداية إلى بقية بقاع الأرض؛ لتقرر مركز القيادة الجديدة للبشرية.

وقررت أن مقصد الوحي : الإنذار؛ لطبيعة أول من أنزل عليهم.

الركن الخامس: وحدة الرسالة:

﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَسْطَ الزَّرْقِ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْنَا اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْنَا مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْنَا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

[الشورى: ١٣].

ذكر الآيات صفات الله صاحب الرسالة، ثم قررت أن الرسل جميعًا جاؤوا

برسالة واحدة (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

ثم قررت السورة أن الله تعالى ينزل على خلقه ما به حياتهم الدينية وهو

الوحي وما به حياتهم الدنيوية وهو المطر النافع، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ [الشورى: ٢٨].

ثم قررت السورة أن على العبد أن يجمع بين عبوديته اضطرارا واختيارا، فكما

يلجأ إليه حين الاضطرار حين الركوب في السفن؛ فيجب عليه عبوديته اختيارا

كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].
ثم قررت السورة أن المالك لما في السموات والأرض وما بينهما يُقسَم النعم الدنيوية كما يقسم النعم الدنيوية، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾.

الركن السادس: الأوجه التي تنزل عليها الوحي:

إما أن (يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَحْيًا) بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها.

{أَوْ} يكلمه منه شفاها، لكن {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} كما حصل لموسى الكليم عليه السلام.

{أَوْ} يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، ف {يُرْسِلُ رَسُولًا} كجبريل أو غيره من الملائكة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾
صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥١-٥٣].

وبهذا التناسق جمعت هذه السورة أركان الوحي بصورة مبهرة على نظام واحد معطوف بعضه على بعض في جمال كحبات اللؤلؤ المنظومة في العقد، وكأوراق الشجر الجميلة المنظومة في الفرع الواحد، فسبحان من هذا نظمه في أشرف كتبه.

وبعد الانتهاء من هذا المطلب أكون قد انتهيت من البحث، نسأل الله القبول
الحسن

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله المنعم على عباده الذي يسر لنا هذا البحث بمنه وفضله، ونسأله سبحانه القبول الحسن.
كانت من أهم النتائج:

- ١- اتحاد المقصد هو الذي يجمع الآيات الكونية مع بعضها البعض في السورة القرآنية.
- ٢- تعريف العباد بأفعال الله في الآيات الكونية منهج قرآني فريد؛ يحسن بالمربين الاستفادة منه في التربية.
- ٣- أعلم الله عباده بنفسه من خلال الآيات الكونية في القرآن، وأنه بهم بر رحيم، لطيف حلیم؛ يحب هدايتهم وتيسير مصالحهم؛ لأنه المربي لهم بتدبيره وتصريفه للأمر.
- ٤- التناسق بين الآيات الكونية في السورة؛ أبرز إعجاز النظم القرآني. وكانت أهم التوصيات:

- (١) أن يتبنى قسم القرآن وعلومه القيام بدراسة أفانين السورة القرآنية من الكلمات، والجمل، والقصص، والأمثال، والحكم، والأحكام، والمواعظ، وأسماء الله الحسنى، ودلالاتها على مقصد السورة؛ حسب تقسيم سور القرآن (الطوال - المثاني - المئين - المفصل).
- (٢) أن يقوم أحد أقسام القرآن وعلومه في الجامعات بمشروع (موسوعة التناسب في القرآن الكريم) توزع على الطلاب تشمل مثلاً (التناسب بين القصص القرآني ومقاصد السور - التناسب بين الأمثال في القرآن ومقاصد السور - التناسب بين المواعظ ومقاصد السور - التناسب بين أحكام القرآن ومقاصد السور - التناسب بين الآيات الكونية ومقاصد السور - التناسب بين السنن الإلهية ومقاصد السور... إلخ).

فهرس المراجع والمصادر

اسم المرجع

١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، «التحرير والتنوير»، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د. ط، تونس، دار التونسية للنشر.
٢. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط (١)، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر.
٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (د.ت)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (١٣٩٤هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، القاهرة، مصر، دار السلفية.
٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
٧. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الأمثال في القرآن، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ط (١)، مصر، طنطا، مكتبة الصحابة.
٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين،

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.
٩. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (٥١٤١٤هـ)، لسان العرب، ط (٣)، بيروت دار صادر.
١٠. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (د.ت) تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١١. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، د. ط، بيروت، دار الفكر.
١٢. آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، (١٤٢٢هـ)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، الطبعة: الأولى، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
١٣. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط (١)، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ط (١)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
١٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، (د. ت)،

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

١٦ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) *سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق: أحمد محمد

شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، ط (٢)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٧ جماعة من علماء التفسير، *المختصر في تفسير القرآن الكريم*، (١٤٣٦هـ)، ط (٣)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض.

١٨ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، (١٤١٢هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (١)، بيروت، دار القلم.

١٩ رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (١٩٩٠م) *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، د. ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٠ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) *البرهان في علوم القرآن*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢١ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (١٤٠٧هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٢٢ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١٤٠٨هـ

- ٢٣ - (١٩٨٨ م) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، الطبعة: الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- ٢٣ الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط (١)، السعودية، دار ابن عفان.
- ٢٤ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط (٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- ٢٥ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، ط (٣)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.
- ٢٦ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي، (د. ت) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ٢٧ مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (د. ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٨ مسلم، مصطفى، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، مباحث في إعجاز القرآن، ط (٣)، دمشق، دار القلم.

